منهجية مقاربة النص الفلسفي

علينا النظر إلى النص على أنه الموضوع الرئيسي للتأمل. ولهذا، من الضروري قراءته بعناية لضمان فهمه في سياق المواضيع المطروحة. وبذلك يمكن تمييز فكرة الكاتب ومكانتها ضمن القضايا المرتبطة بموضوع معين أو مفهوم. وفي هذه النقطة، من الجدير بالذكر أن الطريقة المتبعة تحددها الأسئلة المرتبطة بالنص. وعادة ما يتم تقديم النصوص في السنة الدراسية الأخيرة للتحليل والنقاش لجميع الفصول الدراسية. ولذا، نعتقد أن الطريقة المتبعة للتقريب من النص تتبع نموذج الكتابة التقليدي (مقدمة – جسد – ختام)، ولكن هناك خصائص معينة للنص الفلسفي تحددها طبيعة الفلسفة نفسها. وفيما يلي، سنتناول هذه الطريقة بناءً على هذه الخصائص.

خصوصية المقدمة:

تعتبر المقدمة بوابة للموضوع، ولذا يجب أن لا تحتوي على إجابات واضحة عن ما هو مطلوب، بمعنى أنها لا تُظهِر محتوى النص بشكل مباشر، لأن ذلك يحول دون التمتع بالاستكشاف. وتعبر المقدمة عن قدرة التفكير والتحليل، ويمكن تلخيصها في الفهم (التعامل مع النص والسؤال)، وتكوين القضية المطروحة. لذا، يجب أن تحتوي المقدمة على ثلاث مراحل أساسية تقودنا من الفكرة العامة إلى الخاصة: تقديم عام، ثم التركيز على النص وتحديد مكانته، وأخيراً طرح القضية عبر أسئلة توجه النقاش.

ويجب أن نعرف أن طرح القضية ليس مجرد سؤال، بل هو الأسئلة المركزية التي يتم الرد عليها لاحقًا. في بعض الأحيان، قد نقتصر على سؤالين أساسيين: تحليلي ونقدي، مع الأخذ في الاعتبار الأسئلة الأخرى التي تقودنا خلال النقاش، للحفاظ على طابع المقدمة.

لذا، المقدمة ليست مجرد استعراض للتحليل، بل هي وسيلة لطرح القضية وتمهيد الطريق للتحليل، حيث يجب التأمل في النص لفهم محتواه ومكوناته.

طبيعة العرض

يمكن النظر إلى العرض كرد فعل مباشر على القضية المطروحة، وبالتالي فإن النقاش يحتوي على مرحلتين رئيسيتين: التحليل والمناقشة.

لحظة التحليل

إن هذه المرحلة من المقاربة عبارة عن قراءة للنص من الداخل لاستكشاف مضامينه وخباياه، وبالتالي تفكيك بنيته المنطقية وتماسكه الداخليين، كأننا نحاول أن نتأمل عقلية المؤلف لفهم الأسباب التي جعلته يتبنى الطرح الذي تبناه، ويفكر بالطريقة التي فكر بها. ومن ثمة، لابد من توجيه التحليل بالأسئلة الضمنية التالية: ماذا يصنع المؤلف في هذا النص، أو ماذا يقول ؟ كيف توصل إلى ذلك ؟ ما هي الحجاج التي وظفها للتوصل إلى ما توصل إليه ؟

فالسؤال الضمني الأول يحتم إبراز الموقف النهائي للمؤلف من الإشكالية التي عالجها و/أو إبراز طبيعة أهمية الإشكالية التي أثارها ... والسؤال الضمني الثاني يدفع إلى التدرج الفكري مع المؤلف، والسير معه في أهم اللحظات الفكرية التي وجهت تفكيره. أما السؤال الضمني الأخير فهو سؤال يستهدف الوقوف عند البنية الحجاجية التي تبناها المؤلف، وبالتالي الوقوف عند الحجاج الضمنية والصريحة التي وظفها لدعم أطروحته، وتحديد خصوصيتها، وطبيعتها ...

فالتحليل – إذن – هو لحظة تأمل في المضامين الفكرية للنص وهو في الآن ذاته لحظة الكشف عن المنطق الذي من خلاله بنى المؤلف تصوره.

لحظة المناقشة

إن المناقشة لحظة فكرية تمكن من توظيف المكتسب المعرفي، بشكل يتلاءم مع الموضوع، بحيث يجب التأكيد، في هذا المقام، على أن المعلومات المكتسبة تؤدي دورا وظيفيا ومن ثم يجب تفادي السرد والاستظهار... وبعبارة أخرى، علينا أن نستغل المعلومات الضرورية بالشكل المناسب، بحيث يصبح مضمون النص هو الذي يتحكم في المعارف وليس العكس. هكذا سنتمكن من اعتبار المناقشة شكلا من أشكال القراءة النقدية لأطروحة النص، التي تكتسي غالبا صورة نقد داخلي و/أو خارجي تتم فيه مقارنة التصور الذي يتبناه النص بأطروحات تؤيده وأخرى تعارضه، وذلك من خلال توظيف سجال نحرص من خلاله على أن نبرز مواطن التأييد أو المعارضة.

طبيعة الخاتمة

يجب أن تكون الخاتمة استنتاجا تركيبا مستلهما من العرض، أي استنتاجا يمكن من إبداء رأي شخصي من موقف المؤلف مبرر (إن اقتضى الحال) دون إسهاب أو تطويل. فمن الأهداف الأساسية التي يتوخاها تعلم الفلسفة تعلم النقد والإيمان بالاختلاف.